التربية الفنية التشكيلية ودورها في بناء التعلمات بالمدرسة المغربية

إيمان حداد

طالبة باحثة بسلك الدكتوراه مختبر تاريخ، لغات، تراث وعمارة

كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الأول، وجدة

المغرب

ملخص الدراسة

تركز هذه الدراسة على دور التربية الفنية بصفة عامة والتربية التشكيلية بالخصوص، على بناء شخصية المتعلم بالمدرسة المغربية، وذلك حسب خطة تربوية تتوخى توجهيه لمعرفة وضبط القيم الجمالية في الواقع، وفحص المعرفة والتذوق، وبناء تعلماته المهارية والوجدانية، من خلال تطوير حواسه الخمس مما يساعده على تحليل والحكم على الأعمال الفنية.

وتعتبر التربية التشكيلية (بالمفهوم الديداكتيكي للكلمة) مكونا رئيسيا من مكونات التربية الفنية والجمالية، وهي مادة تربوية قادرة بفعل خصوصيتها على تأهيل شخصية المتعلم ومساعدته على التفتح والانخراط في الحياة الاجتماعية، كما تعتبر مجالا تعبيريا واسعا...الخ.

الكلمات المفاتيح: التربية الفنية، التربية التشكيلية، المدرسة المغربية.

Abstract

This study addresses the role of art education in general and fine arts in particular on the character development of students in the Moroccan school. This is done through an educational plan that seeks to guide him toward perceiving and mastering aesthetic values in reality. Additionally, this plan intends to enable the student to examine knowledge and develop their sense of taste besides acquiring his learning and emotional skills through improving the five senses. This will enable students to analyze and assess artistic works .

Further, fine arts are considered, dialectically, an essential component of art education and aesthetics. It is a school subject that can enhance the development of the learner's character, facilitate their openness and involvement in social life as well as it is considered a broad space for expression, etc.

Keywords: art education, fine arts, Moroccan school.

1- مفهوم التربية الفنية.

التربية الفنية أو الجمالية هي أسلوب وطريقة لتكوين القدرة على التعبير الجمالي Expression Esthétique ، وتهدف إلى تحقيق تربية القدرات و المهارات للمتعلمين وصقلها لنمو المتعلم نموا شاملا من مختلف جوانب شخصيته من خلال مجموعة من الانشطة الفنية عبر مجالات الفنون الجميلة والتطبيقية. وتستفد التربية الفنية من مختلف العلوم الانسانية (مثل: فلسفة الفن، علم التاريخ والاجتماع، علم النفس، البيداغوجيا وطرق التدريس، مجال التربية، المناهج...الخ).

والتربية الفنية تهدف توجيه المتعلم حسب أهداف تربوية، وخطط منهجية مضبوطة للسير عليها، لتنمية القدرات الفنية، وهذه الخطط لابد أن تكون مناسبة مع عمر المتعلم ومراعاة التدرج المعرفي الفني (من السهل إلى المعقد، ومن البسيط إلى المركب...)، وهذا حتى يستطيع الحكم- ولو بخفة – على الأشياء جماليا. وأن يضبط عناصر الجمال، هذا بالإضافة إلى أن التربية الفنية تساهم في تطوير الحواس الخمس والارتقاء بمستوى ذوق المتعلم وقدرتها على تهذيب الشخصية وبناء استجابتها الانفعالية حتى تحقق لها التوازن في المجتمع. وكذلك اكتساب المتعلم أساليب الدقة والتركيز في الملاحظة والتأويل، عن طريق استخدام أساليب ذاتية، واعتماد على أبجديات القراءة والتحليل والالمام بلغة النقد وطرائق ممارسته خاصة النقد الذاتي Auto-critique، من خلال تدريب المتعلم على تقويم أعماله بنفسه حتى يطور من أدائه ويحقق المستوى الرفيع والجودة المبتغاة.

هذا وتحقق التربية الفنية – الجمالية " الارتقاء بمستوى ذوق المتعلم فتجعله حساسا للقيم والعلاقات الجمالية، قادرا على التعرف عليها، وهذا يعني استجابة المتعلم لمقومات الجال حينما تتوافر أمامه، أي أن مشاعره تهتز إذا وجد جمالا. فالجمال في النسب، التقاطيع، التوافق، الايقاع، السمة الكلية المميزة. أما القبح، وهو عكس الجمال، فيسجل النفور والتقزز، والنشاز، وعدم الانسجام، والانسان بفطرته يبحث عن الجمال وممارسته ونفر القبح وهجران، وهي تربية فنية لعنايتها بكل ما هو مرئي: الرسم، التصوير، التشكيل، التصميم، البناء، التركيب، الأبيض والأسود، النور والظل، القريب والبعيد، المتلائم، المنسجم والمتردد إيقاعيا. وهكذا، فإن المتعلم الذي يستجب بعينه بل بسائر حواسه لهذه المقومات يعتبر قد تربى تربية فنية".[1]

وتتنوع مجالات التربية الفنية ومن بينها:

1) فنون الأدب: وهي التي تتضمن فنون الشعر، والقصة وغيرها.
2) الفنون الزخرفية: وهي الفنون التي تتضمن تصميم الأثاث والفسيفساء وجميع الفنون المشابهة.
3) الفنون الموسيقية: تهتم بتأليف وإيقاع توزيع الألحان وطريقة الغناء والطرب.
4) الفنون المسرحية: وتتضمن فنون الرقص والمسرح والموسيقى.
5) الفنون البصرية: وهي الفنون التي تتضمن الرسم، التصوير، النحت، والفنون التشكيلية.

2)- مفهوم التربية التشكيلية وأبعادها.

وفي ظل التفرعات التي تعرفها مجالات التربية الفنية نأخذ على سبيل المثال لا الحصر الفنون التشكيلية – وكما أشرنا سابقا- تعتبر مكونا من مكونات التربية الفنية والجمالية، ويقصد بها على وجه الخصوص مجموع الأنشطة البيداغوجية التي يتعلم فيها المتعلم أصول الفنون التشكيلية وتقنيات ممارستها واكتساب معارفها، وأطرها المرجعية والفلسفية.

وتتعدد الأساليب التعبيرية الموظفة في مادة التربية التشكيلية كالخطوط والأشكال، الالوان، الرموز، الأحجام، التكوينات... كلها عناصر تساهم في تنمية الذوق الفني والحس الجمالي، وهو ما يفرض الاهتمام بالتربية الفنية والتشكيلية بالخصوص بغية تنمية قدرات وشخصية المتعلم كتكوين القدرة على التعبير الجمالي وتبنيه الوعي وقوة الملاحظة...كما تساهم مادة التربية التشكيلية بتمكين المتعلم من الكفايات المستعرضة والمستديمة الضرورية لمواجهة البيئة الابداعية كالبحث والتحليل والتركيب والتجريب والتواصل والمبادرة...وجاء في الكتاب الأبيض[2] تعريف عام للتربية التشكيلية وهو كما يأتي:

التربية التشكيلية مادة متعددة الجوانب والانشطة بسبب تقاطعها وتفاعلها مع مختلف المجالات وخاصة ما يتعلق منها بكل ما هو مرئي، تشكيلي وإبداعي ومع جل التخصصات المتعلقة بابتكار الأشكال والنماذج والصور.

حيث أصبحت مادة التربية التشكيلية تحتل موقعا ودورا تربويا ضمن المنظومة التعليمية، في مطلع القرن 21 الذي يعرف انتشارا كاسحا لثقافة الصور التي أصبحت شكل من أشكال التعبير الفني وكما تقول أحد التعبيرات " الصورة بألف كلمة".

وتمشيا مع المستجدات والتطورات التربوية وإصلاح المنظومة التعليمية، تعتمد مادة التربية التشكيلية على ديداكتيك خاص بالمادة بتصور بيداغوجي منفتح، يساعد المتعلم على تحقيق أهدافه المعرفية والمهارية والقيمية لبناء مدرسة النجاح وتحقيق الجودة وتحويل المدرسة الى فضاء مفعم بالحياة. حيث " إن الفن في المدرسة ليس غاية في حد ذاتها، وإنما تتضح غايته من قدرته على تهذيب الشخصية وبناء استجابتها الانفعالية، بما يحقق لها التوازن في المجتمع. إن الفن له دوره التنفيسي، ويجب أن تلعب التربية الفنية دورها بالنسبة لسائر التلاميذ، عن طريق هذا المدخل".[3]

استنادا الى ما سبق، اتجهت مراجعة المناهج والبرامج الدراسية، خاصة في المرحلة الابتدائية، إلى إقامة " تلاؤم أكبر للمنهاج مع متطلبات إعداد المتعلمين والمتعلمات للانخراط في مجتمع المعرفة والتواصل، وتنمية قدراتهم وكفاياتهم الذاتية، وصقل مهاراتهم، وتفعيل الذكاء والحس النقدي، وتفتح ملكات الابداع والابتكار لديهم".[4]

كما مادة التربية التشكيلية مجالًا تعبيريًا واسعًا لما لها من أدوار فعالة ومؤثرة على عدة مستويات وأبعاد:

- **البعد الجمالي**: لا يمكن فصل الفنون التشكيلية عن مطمح البعد الجمالي، ويمكن الجزم على أن هذا البعد يعتبر الغاية المنشودة في العملية التعليمية التعلمية من خلال الارتقاء بالذوق واستجابة المتعلم لمقومات والانسان بطبيعته يبحث عن الجمال، والذي يتأتى من التربية التشكيلية يؤدي إلى الإتقان والدقة في الانجاز، إذ لا تستقيم طبيعة الأشياء من دون شرط الجمال الذي يعبر عن ذوق رفيع ومستوى عال من الاحساس المرهف.

- **البعد التربوي**: يعتبر هذا البعد مكمل للبعد الجمالي في التربية التشكيلية، إذ تمنح هذه الأخيرة ضمن المنظومة التعليمية موقعا ودورا تربويا وتكوينيا متميزا، عبر تحقيق جملة من الكفايات منها الكفايات التواصلية حيث تجعل التربية التشكيلية من المتعلم ملما باللغة العربية كوسيط لغوي تعليمي في دراسة الأعمال التشكيلية العربية والاسلامية، بالإضافة إلى إتقان اللغات الأجنبية لتعاطي مع الأعمال التشكيلية العالمية وتقيميها، والبحث في مدارسها و تاريخها الفني باللغات الأصلية، وحتى يتمكن المتعلم من مختلف أنواع التواصل داخل المؤسسة وخارجها من خلال لغة تشكيلية متنوعة. أضف إلى ذلك الكفايات الثقافية التي تعتبر عنصر مهم في تنمية وإثراء الرصيد الثقافي للمتعلم، وتوسيع دائرة معارفه وتصوراته للعالم والحضارة الانسانية، وترسيخ هويته الثقافية العربية كإنسان عربي متفرد، وانسجامه مع ذاته وبيئته ومع العالم، وتمكنه من الإلمام بمعرفة موسوعية في الثقافة التشكيلية بالأخص ومختلف الثقافات العالمية عموما.

وتقوم التربية التشكيلية بوظيفة تربوية للمتعلم تتمثل بالأساس:

- **مستوى المتعلم العربي:**

وتحقق فيه التربية التشكيلية الغايات التالية في تربيتها للمتعلم:

- المساهمة في تكوين شخصية مستقلة ومتوازية ومتفتحة، تقوم على معرفة دينه وذاته، ولغته وتاريخ وطنه وتطورات مجتمعه.
- اعداد المتعلم للمساهمة في تحقيق نهضة وطنية في مختلف المجالات تستجيب لتطلعات مجتمعه وحاجياته.
- تشجيع المتعلم للتعبير عن ذاته وكل ما يخالجه من أحاسيس في العمل التشكيلي.

لتحقيق متعة وجدانية ونفسية والمحافظة على صحته الجسمية.

- **مستوى المدرسة المغربية:**

لتفعيل دور المؤسسة التعليمية في المجتمع من خلال تربية الناشئ في المادة التشكيلية لابد من الاعتماد على الاختياريين التالين:

- العلاقة التفاعلية بين المدرسة والمجتمع، باعتبار المدرسة محركا أساسيا للإنماء الاجتماعي.
- اعتبار المدرسة مجالا خصبا لترسيخ القيم الأخلاقية، وقيم المواطنة وحقوق الانسان وممارسة الحياة الديمقراطية.

- **مستوى مادة التربية التشكيلية:**

في هذا الصدد تلعب التربية التشكيلية دورا هاما في تحقيق التربية المتكاملة للمتعلم تفعيلا لأبعادها الخاصة بها، وتفعيلا لأبعاد شخصية المتعلم مستحضرة في إعداد مادتها التشكيلية على التوجيهات التالية:

- اعتماد مقاربات شمولية متكاملة تراعي التوازن بين البعد الاجتماعي والوجداني، والبعد المهاراتي المعرفي.
- التركيز على مبدأ التوازن في التربية بين مختلف أساليب التعبير وبين مختلف جوانب التكوين.
- اعتماد مبدأ التنسيق والتكامل في اختيار مضامين المادة التشكيلية والتركيز على التراكم الكيفي على سلبيات التراكم الكمي للمعارف في البرامج السابقة لمادة التربية التشكيلية.

البعد المهاراتي: الذي يتخلص في العديد من المهارات (اللفظية، الحسية، والجسمية، واليدوية، والعقلية، الحركية)، والبعد المهاراتي للتربية التشكيلية لا يقتصر على انجاز العمل التشكيلي المطلوب، بل يتجاوز ذلك إلى التحكم في توظيف وحسن استعمال المواد الأولية الخام والأدوات والوسائل والتقنيات والمنهج الدقيق بما فيه الملاحظة والاكتشاف والتحليل والتركيب، والتخيل والابداع من أجل التعبير عن أحاسيسه ومكنوناته، وحتى يبدع المتعلم في العمل التشكيلي ويتفنن في إتقانه.

البعد الحضاري: تعتبر التربية التشكيلية ذاكرة فردية وجمعية لهوية وثقافة المجتمع العربي وتاريخه وحضارته، فهي تؤرخ لثقافة ومسار تاريخي عبر تمثيل مختلف أساليب التعبير عن طريق انجازات الفنون التشكيلية والمأثر العمرانية التاريخية وأدوات يومية معيشية لأفراد المجتمع والتطلع على ثقافات الشعوب والأمم وبالتالي هي وسيلة ووسيط تواصل حضاري عالمي بامتياز.

فالتربية التشكيلية رافد من روافد الوجود الاجتماعي والثقافي– الحضاري تساهم في المقاومة الثقافية ضد غزو واستلاب ثقافات لا تمت بصلة للثقافة العربية وهي جزء من الانتماء الجماعي والهوية المتفردة.

3– وظائف التربية التشكيلية.

يمكن تصنيف الوظائف العامة للتربية التشكيلية فيما يلي:

- وظائف تربوية:

- تأهيل التربية التشكيلية المتعلمين والمتعلمات لاكتساب مهارات الملاحظة البصرية، والتمييز بين الأحجام والقياسات...
- تنمية الوعي المعرفي والخلقي للمتعلم.
- تشجيع المتعلم على النظام وحب العمل.
- تهيئ المتعلم للتعامل مع ذاته ومحيطه بحس ذوقي جميل ومرهف.

- الوظائف الفنية:

- ترسيخ التربية التشكيلية إيمان المتعلم بقدرته على الابداع وصقل مواهبه وتفجير طاقاته.
- التعرف على التقنيات التشكيلية البسيطة والتحكم في توظيفها عن طريق التجريب والتطبيق.
- التعرف على رمزية الألوان ودلالتها الثقافية والفنية والاجتماعية.
- التشجيع على انتاج الاعمال الفنية الأصلية، وابتكار نماذج متنوعة من الصور.

من خلال ما سبق، فأنشطة التربية التشكيلية هي أنشطة عملية، تساهم في انفتاح المتعلم، وتنمية قدراته ومهاراته وحسه الجمالي، من خلال إنجازات إبداعية، يتعرفها ويحاكيها، ويتدرب على إنتاجها، بواسطة مواد وأدوات مختلفة ومتنوعة. وليست الأنشطة التشكيلية مادة للتلقين والحفظ، بل هي فضاء لتمثل الأشكال والخطوط والمواد، من حيث تناسقها وجماليتها، وإمكانيات الإبداع والابتكار بواسطتها.[5]

4- نموذج لتدبير الديداكتيكي لنشاط من أنشطة التربية التشكيلية.

لتحقيق الكفايات الخاصة بمادة التربية التشكيلية في الفصل الدراسي لابد من إتباع خطة تربوية عبر مجموعة من المراحل أبرزها:

- تحديد موضوع وعنوان النشاط وأهدافه التربوية والتعليمية، والوسائل الموظفة فيه.

- تتجلى المرحلة الثانية في التمهيد والملاحظة حيث يعرض الأستاذ صورا للتحفيز باستعمال أسئلة مثل: ما هذا؟،(نموذج عرض لوحات للفنانين مغاربة..) ويتجلى دور المتعلم في المشاركة والتفاعل والبحث عن أجوبة للأسئلة المطروحة.

- تتلخص المرحلة الثالثة في التعرف والاكتشاف، حيث يوجه الاستاذ المتعلم الى إحدى اللوحات ليلاحظ ويسمي ويتعرف على الظاهرة الفنية.

- تأتي بعدها مرحلة التطبيق والانجاز من طرف الاستاذ الذي يقوم بمحاكاة وتقليد تمرينات معينة للتخطيط والرسم ويتجه بالمتعلمين الى الرسم المخصص للتطبيق والانجاز ويتتبع اشتغالهم عليه دون تدخل.

- وأخيرا مرحلة التقويم والتذوق الجمالي حيث يقوم الاستاذ بدور توجيهي من خلال عرض صور وتبسيطه لجمالية محتواها، وتوجيه المتعلم لاستنتاج خلاصة معرفية وجمالية.

5- أثر التربية التشكيلية في بناء شخصية المتعلم.

إن مادة التربية التشكيلية لا تقل أهمية عن المواد الدراسية الأخرى التي يتلقاها المتعلم داخل الفصول الدراسية، فعبرها يعبر المتعلم عن ميولاته ويكشف عن شخصيته وذاته وتفجير طاقاته المحبوسة...وانطلاقا من هذه السمات أصبح لتربية الناشئة على التشكيل ، داخل الوسط المدرسي، دورا وأهمية في تدرب المتعلمين والمتعلمات على المبادئ الأولية للتشكيل وعلى ادراك أثاره الفنية والجمالية.

وفضلا عن ذلك، تتعدد أثر التربية التشكيلية في بناء شخصية المتعلم نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- التربية التشكيلية مجال خصب لتعبير المتعلم عن خوالجه وميولاته، وتحقيق حجاته الحسية والوجدانية.
- تساهم التربية التشكيلية الى حد كبير في تزويد المتعلم بالمهارات والخبرات الفنية والعملية.
- تعتبر التربية التشكيلية متنفس للمتعلم وطريقة لدعم الصحة النفسية وتحقيق التوازن الفكري.
- تمنح التربية التشكيلية مساحة للمتعلم للتعبير والانفتاح سواء على الثقافة المغربية أو الثقافات الأجنبية.
- تدعم التربية التشكيلية كفايات المتعلم المهارية والابداعية وتعمل على تطويرها وتنميتها.
- تساعد التربية التشكيلية المتعلم على الانفتاح والتعرف على عوالم التكوين المهني والقطاعات الحرفية والانتاجية.
- تساهم التربية التشكيلية في تعديل سلوك المتعلم والمساهمة في تربيته عن طريق الاعمال والاشغال الفنية، وتكسبه بعض القيم. وهذا ما يطلق عليه التربية عن طريق الفن.
- تساهم التربية الفنية والتشكيلية بالخصوص في تنمية الحس وملكة النقد البناء عن طريق تكوين أفكار وانطباعات حول الاعمال الفنية (اللوحات العالمية نموذجا).
- تدرب التربية التشكيلية المتعلم على تقويم أعماله بنفسه، من خلال تعليمه اليات التحليل والتشريح الفني لتحقيق الجودة المبتغاة في ظل ما يسمى بالنقد الذاتي، Auto-critique
- تعزيز الثقة بالنفس
- احترام البيئة الطبيعية والحفاظ على التراث الشعبي والثقافي الحضاري.
- التوظيف التربوي لرموز الثقافة المغربية في اطار التربية التشكيلية للحفاظ على هوية الأفراد والمجتمع.

6- المقترحات والتوصيات لتجويد العملية التعليمية التعلمية لمادة التربية التشكيلية.

تلعب التربية الفنية والتشكيلية بالخصوص دورا بيداغوجيا هاما، يتجلى بالضرورة في بناء شخصية المتعلم، ومساعدته على اكتساب الأدوات الأساسية لفهم الخطاب التشكيلي وتحليليه وادراك قيمته، وثمة جملة من المقترحات الكفيلة بدعم وتجويد العملية التعليمية التعلمية ومن ذلك نقترح:

- الاهتمام وتحيين برامج التربية الفنية والمناهج الديداكتيكية.
- ادراج مادة التربية الفنية في مختلف أسلاك التعليم دون الاقتصار فقط على التعليم الابتدائي.
- العمل على تكوين جيد لأساتذة المادة والتركيز على كفاءاتهم،

- اعادة النظر في المقاربة التربوية السائدة في المدرسة المغربية من حيث طرائق التعليم "للانتقال من منطق تربوي يرتكز على المدرس وأدائه، مقتصرا على تلقين المعارف للمتعلمين، إلى منطق أخر يقوم على تفاعل هؤلاء المتعلمين ، وتنمية قدراتهم الذاتية ، وإتاحة الفرص أمامهم للإبداع والابتكار".[6]

- تشجيع الباحثين والكتاب والطلبة على انجاز دراسات وبحوث وتأليف مراجع حول الفن والتربية التشكيلية خاصة.

- إنشاء مكتبات وقاعات العرض عصرية تعتمد على أساليب حديثة كالأشرطة والصور والملصقات والكاتالوغات ومختلف الوسائل ذات العلاقة بالفن التشكيلي.

- إدماج الفن في البيئة وفي الحياة العامة ، عن طريق نهج ما يسمى بالمقاربة التشاركية أو سياسة القرب من خلال العمل على تزيين الحدائق والفضاءات العمومية والجداريات بمحتوى يتلاءم مع خصوصيات كل مجتمع.

- تفعيل المهرجانات الثقافية والفنية التي تكون فيها مجالات التربية الفنية الجمالية نشاطا محوريا فيها.

- إحداث مسابقات وطنية ودولية في مختلف مجالات التربية الفنية، وتحفيز المبدعين بجوائز للتشجيع على خلق المزيد من الابداع والابتكار.

- الاهتمام بالمؤسسات التي لها علاقة بكل ما هو فني كالمتاحف، والمحترفات والمراسيم المفتوحة وإقامة ورشات خاصة بمجالات التربية الفنية.

وخلاصة القول، يمكن اعتبار التربية الفنية التشكيلية حقل تربوي مهم سواء من الناحية الوجدانية والعقلية والثقافية، تساهم في بناء شخصية المتعلم وتنمي فيه الاحساس بالجمال والتذوق الفني. كما تعتبر التربية الفنية التشكيلية نسق بيداغوجي مفتوح على عدة أبعاد تشتمل على قيم ثقافية وكفاءات معرفية مهمة.

ولعل هذا المعطى هو الذي قاد الرسام الهولندي فان كوخ كاتبا الى اخيه ثيو هناك شيء في الرسم لا أستطيع أن أشرحه لك، غير أن تلك الروعة لها تأثير عميق في نفسي، إذ عندما تمتزج في الالوان إيقاعات وتباينات خفية تؤثر في، ولا أجد لفظا يعبر عن نوع هذا التأثير.

الهوامش:

[1] محمد السيوني، مبادئ التربية الفنية، دار المعارف، مصر،1989،ص 13.

[2] الكتاب الأبيض، الجزء الثالث، المناهج التربوية للسلك الاعدادي، وزارة التربية الوطنية بالمغرب، يونيو 2002.

[3] محمود السيوني، التربية الفنية والتحليل النفسي، القاهرة 1983، الطبعة الثانية، ص 238، 239.

[4] مستجدات المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي، ص5

[5] ابرهيم الحسن،الفن والتكنولوجيا، مستقبل الدرس التشكيلي ، منشورات عالم التربية، البيضاء، 2012، ص6.

[6] وردت هذه الفقرة في الخطاب الملكي، بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب، بتاريخ 20 غشت 2012، عن " مستجدات المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي، مديرية المنهاج، ماي 2019، ص4.